الكتب عرض وتعريف (65)

عرض وتعريف بكتاب

(التفسير المادي للتاريخ في أحداث القرن الأول الهجري

دراسة نقدية

للدكتور: خالد بن محمد الغيث

إعداد

مركز سلف للبحوث والدراسات

salaf center

جوال سلف : 009665565412942

المعلومات الفنية للكتاب:

عنوان الكتاب: التفسير المادي للتاريخ في أحداث القرن الأول الهجري.. دراسة نقدية.

اسم المؤلف: د. خالد بن محمد الغيث، أستاذ التاريخ بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.

دار الطباعة: مركز طروس للنشر والتوزيع، الكويت.

رقم الطبعة وتاريخها: الطَّبعة الأولَى، عام ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.

حجم الكتاب: يقع في غلاف وسط، وعدد صفحاته (٩٥) صفحة.

مشكلة البحث وهدفه:

يعالج هذا البحث إشكالية حسن ظنِّ بعض الباحثين بنظرية التفسير المادي للتاريخ، واعتبارها نظرية علمية بحتة، ثم تنزيلها على السلف الصالح والرعيل الأول منهم خاصة وهم الصحابة ومن بعدهم ممن عاش في القرن الأول؛ فيولّد لنا تاريخًا معلولًا مليئًا بالأمراض والعقد المعنوية، وتاريخًا مشوّهًا في جوانبه الحسية.

ومن هنا يظهر أن **هدف البحث هو**: النقد والتقويم لمن أقحم التفسير المادي في دراسته لتاريخ القرن الأول والصحابة رضوان الله عليهم بحسن نية منه، وهو ما يبين لنا حدود البحث أيضًا ومنهجه حيث يتناول المنهج النقدي.

مميزات الكتاب:

يمتاز الكتاب بعدة أمور:

١- المناقشة الموضوعية للقضية التاريخية دون ميل أو جنوح ذات اليمين أو ذات الشمال.

٢- النفَس الهادئ للمؤلف في كتابه، فلا يجرح ولا يعتدي، وإنما يعرض قول المخالف دون المساس به.

٣- العناية بإيراد شبهة المناوئ بالنص وتوثيقه.

٤- العناية بمناقشة الدعوى دون الولوغ في شخصية المدّعي أو حاله.

٥- العناية ببيان الحق في كلّ قضية منتقَدَة، وتأصيل مذهب أهل السنة فيها، وإيراد النصوص التي اعتمدوا عليها.

٦- الإيجاز في العرض مع قوة الطرح واستيفاء النقد حقّه وإنِ احتمل تأصيل الأصول والجذور الفلسفية للموضوع إشباعًا أكثر.

٧- التحذير والنقد لقضية تشربت وتسربت إلى الكتابات التاريخية دون أن يحسّ بها أصحابها، خاصّة مع هيمنة الفكر الغربي وفلسفاته ومذاهبه.

خطة البحث:

أفصح الباحث في مقدمة كتابه عن تقسيمات بحثه، وأنها تنتظم في **مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:**

المقدمة وفيها: إشكالية البحث، وهدفه، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: وفيه إلماحة عن: **ثمرات دراسة التاريخ**، وذكر ثلاث عشرة ثمرة من ثمراته.

المبحث الثاني: وخصصه للحديث عن: **مدرسة التفسير المادي للتاريخ**، وقد جاء في شقين:

الشق الأول: جلّى فيه **ظروف نشأة المدرسة المادية التاريخية الحديثة.**

الشق الثاني: **تأسيس المدرسة المادية التاريخية وأبرز أفكارها**، وقد لخصها في نقاط نستعرض نحن عشرة منها:

١. عدم إيمان المدرسة المادية بالقرآن والسنة ودور المشيئة الإلهية في حركة التاريخ.
٢. يزعمون أن الأخلاق مجرد حيل لتحقيق المآرب والمصالح المادية الاقتصادية.
٣. المؤمن بالمادية التاريخية أحد ثلاثة: جاهل بالمادية التاريخية، أو جاهل بالإسلام، أو جاهل بهما معا.
٤. يصمُون كل من يستدلون بالنصوص الشرعية في أعماله بأنه رجعي تقليديّ دوغمائي مؤدلَج؛ ترهيبًا لهم من حرمانهم من صكوك العقلانية والتقدمية!

٥. يتّهمون خصومهم بأنهم انتقائيون وهم في الحقيقة أول من يمارسه، حيث يتصيدون ما يناسب نظرتهم المادية الحادة في المصادر والمراجع، ويغفلون كلّ ما يمت للغيب بصلة.
٦. تزعم المدرسة المادية أن التاريخ يمرّ ولا بد بخمس حقب: الشيوعية الأولى، الرق، الإقطاع، الرأسمالية، ثم الشيوعية الثانية. وهذه الأخيرة هي الفردوس الأرضي! ولما يصلوا إليها!
٧. انتقاد المدرسة المادية ليس فقط من خصوم المدرسة، بل من رجال المدرسة نفسها، فقد بدت سوأتها للجميع.
٨. يحاولون إلغاء دور الفرد في قيادة المجتمعات ليزعموا أن الدهماء هم من يفعل ذلك؛ محاولة لتنحية الأنبياء وورثتهم عن المشهد المؤثر في التاريخ.
٩. يدندنون حول فكرة الحتميّة التاريخيّة ميلًا إلى تنحية القدرة والتدبير الإلهي.
١٠. الفتوحات الإسلامية في القرن الأول كانت رحمةً بأهل البلاد المفتوحة بشهادة المستشرقين الذين سبروا طبيعة الحروب في التاريخ ودرسوا طبيعتها في فجر الإسلام.

المبحث الثالث: وأبرز فيه: **نماذج من كتابات المدرسة المادية عن عصر الصحابة**.

ومن أهم النقاط التي سبرها ونقدها خلال عرضه لهذه النماذج:

١. تنحية الوحي (العقلية الغيبية كما يسمّيه الماديون) عن المشهد التاريخي الإسلامي ليحل محله النص السياسيّ!
٢. الحط من شأن المدونات التاريخية الإسلامية التراثية، وإعلاء شأن الكتابات المعاصرة وأن مثلها مثل الطب الشعبي والطب الحديث!
٣. ترسيخ منهج الشكّ في كل شيء وفي كل مصدر معرفي (تاريخي) وفي كل أستاذ يحدّثك عن التاريخ! يقول المؤلف: "أصحابه يدعون الناس للشك في أقوالهم ومناقشاتهم في كل صغيرة وكبيرة، لكن إذا حصلت المناقشة تلبَّدت الأجواء، ودخل سهيل في الجوزاء، ونعتوك بالرجعية العرجاء التي لا زالت تعيش على السرج

والدلاء!"[1]. وهذا المنهج نجده يتسلط على نصوص الوحي ولم يسلم منه صحاح الأحاديث النبوية!

٤. ترك الترضّي عن الصحابة –رضوان الله عليهم– والتشجيع على التطاول عليهم والتترس أمام ذلك بالبحث العلمي المتجرد، وتشويه صورة بعضهم كابن الزبير رضي الله عنه.

٥. التحامل على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك رحمه الله.

٦. الإعلاء من شأن شبكة المصالح الاقتصادية، وعزو جميع الأحداث التاريخية إليها.

٧. إنكار التآمر على قتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، ودعوى أنها حادثة فردية!

٨. التباكي على الخوارج وإنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في ذمهم!

٩. التشكيك في غاية الفتوحات الإسلامية ودعوى ماديتها!

١٠. اتهام المسلمين بأنهم كانوا يستمرون في أخذ الجزية حتى ممن أسلم!

وفي نهاية هذا العرض نذكر **أهم نتائج البحث**، فمنها:

١. أن الكنيسة كانت في أوروبا زمن العصور الوسطى تحتكر كل أنواع المعرفة، ومن يتجرأ ويفكر خارج إطار الكنيسة فإنه يعرّض نفسه للتحقيق والمحاكمة التي تصل إلى حد الإعدام أحيانا.

٢. مع بدايات عصر النهضة في أوروبا وتمرّد الناس على تسلط الكنيسة ظهر الإلحاد كردة فعل نفسية على طغيان الكنيسة، وكل ما بيّنت لها من دين أو حديث عن الغيب.

٣. وسط الظروف السابقة ولدت المدرسة المادية التاريخية الإلحادية كظاهرة نفسية، وأصبح موقفها من شتى أنواع المعرفة موقفًا صارمًا.

٤. الوحي هو المنهج التأصيلي والمصدر الأول للمعرفة، والذي من خلاله يتم الحكم على شتى أنواع المعرفة، لكن إذا نحِّي الوحي ونحِّي الغيب باسم التنوير والعالمية

---

(١) التفسير المادي للتاريخ (ص:٤٧).

فإن المادية تصبح عند ذلك صنمًا يعبد من دون الله.

٥. تعامُلُ المؤرخين الماديين مع المصادر التاريخية مخالفٌ لقاعدة: (ثبت العرش ثم انقش) حيث إنه يبحث في المصادر عما يؤيد الفكرة التي تبناها مسبقا، وهي الدوافع الاقتصادية وشبكات المصالح، ثم يصطادها ويقيّدها، ويبني عليها تحليله دون تثبتٍ من صحتها، وهذا هو التفسير الرغبوي بعينه.

٦. الغزو الفكري على الأمة أشد خطورة من الغزو المادي العسكري؛ لأنه يتسلل إلى الأمة بدون صخب أو ضجيج، وهو ما يعرف بالقوة الناعمة العابرة للحدود، وهذا ما يستدعي التعامل مع مخرجات الثقافة الغربية بعقلية نقدية نابعة من كونه هو المصدر الأول للمعرفة.

٧. دعوة التعامل مع المعرفة على أنها منتج إنساني مشترك ومحايد دعوة مضللة تختفي خلفها العديد من الفلسفات المادية الإلحادية القادمة من الغرب والشرق.

٨. النظريات المادية الغربية تنطلق من كون الغرب هو مصدر المعرفة ومركزها، وأن ثقافته هي المنهج التأصيلي الذي ينبغي الاحتكام والرجوع إليها في تقييم شتى أنواع المعرفة؛ وهذه نظرة مترعة بالغطرسة والنظر بدونية للآخرين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.